ماوافق خاطره .

ثم خرج الأذفونش ووقف على الدروب ومال بجيوشه إلى الجهة الغربية من بلاد الأندلس وتقدم السلطان يوسف فقصده وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج يقفو أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الأندلس وجعل ابنه عبدا على مقدمته وسار وهو ينشد لنفسه متفائلا مكملا البيت المشهور .

(لابد من فرج قريب ... يأتيك بالعجب العجيب) .

(غزو عليك مبارك ... سيعود بالفتح القريب) .

(سعدك إنه ... نكس على دين الصليب) .

(لابد من يوم يكون ... له أخا يوم القليب) .

ووافت الجيوش كلها بطليوس فاناخوا بظاهرها وخرج إليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الأفطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والأقوات وبذل المجهود وجاءهم الخبر بشخوص الأذفونش ولما ازدلف بعضهم إلى بعض أذكى المعتمد عيونه في محلات الصحراويين خوفا عليهم من مكايد الأذفونش إذ هم غرباء لاعلم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل إن الرجل من الصحراويين لا يخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة إلا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف إلى الأذفونش يدعوه إلى إحدى الثلاث المأمور بها شرعا فامتلأ الكافر غيظا وعتا وطغى وراجعه بما يدل على شقائه وقامت الأساقفة والرهبان فرفعوا صلبانهم ونشروا اناجيلهم وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار